

عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي وَعَبْدُ اللهِ الْبَحْرِي

عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي وَعَبْدُ اللهِ الْبَحْرِي

تأليف
كامل كيلاني

صفحات
<http://www.safahat.org>

عبدُ الله البرّي وعبدُ الله البحري

كامل كيلاني

موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تلفون: +٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ فاكس: +٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١

البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org
الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.

جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّي وَعَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِي

(١) عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ

كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ» رَجُلًا فَقِيرًا جِدًّا. وَكَانَ لَهُ عَشَرَةُ أَوْلَادٍ يَسْعَى – كُلُّ يَوْمٍ – لِلْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِمْ. وَأَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكَتِهِ الَّتِي يَضْطَادُ بِهَا السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ وَيَبْيَعُهُ تُمَّ يَشْتَري – بِثَمَنِهِ – مَا يَقْتَاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلَادُهُ الْعَشَرَةُ وَزَوْجُهُ الْفَقِيرَةُ. وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ زَوْجُهُ؛ فَحَزَنَ لِمَوْتِهَا أَشَدَّ الْحُزْنِ. وَلِكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْحُزْنَ لَا يَنْفَعُ، فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ اللَّهِ، وَصَبَرَ عَلَى قَضَائِهِ، وَرَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ لَهُ.

وَذَهَبَ – فِي الْيَوْمِ الثَّانِي – مُبَكِّرًا إِلَى الْبَحْرِ، بَعْدَ أَنَّ أَوْصَى ابْنَتَهُ «أُمِّيَّنَةَ» بِإِخْوَتِهَا. وَكَانَتْ «أُمِّيَّنَةَ» بِنْتًا مُؤَدِّبَةً ذَكِيَّةً، فَعَنِيتْ بِإِخْوَتِهَا حَيْثُ عَنِيَّةً. وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ – بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهَا – وَالِدَةَ ثَانِيَّةً، تَغْمُرُهُمْ بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا، وَتَؤْسِيْهُمْ، وَتَسْهُرُ عَلَى خَدْمَتِهِمْ، وَتَقُومُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

(٢) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ «عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ» إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَلَمْ يَرِدْ فِيهَا شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ. فَأَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ – مَرَّةً ثَانِيَّةً، ثُمَّ أَخْرَجَهَا؛ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا سَمَكًا مَّا. ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً ثَالِثَةً. وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلًا. وَلَمَّا جَذَبَهَا وَجَدَهَا ثَقِيلَةً؛ فَفَرَّجَ بِذَلِكَ، وَظَنَّ أَنَّهَا مَمْلُوَّةُ بِالسَّمَكِ. وَلِكِنَّ فَرَحَهُ لَمْ يَطُلُ، فَقَدْ وَجَدَهَا – بَعْدَ أَنَّ أَخْرَجَهَا

من البحر - مملوءة بالرمل والخشائش والوحال فرمى ما فيها، ونظفها وغسلها، ثم ألقاها مرة أخرى - وهو يرجو أن تصطاد شيئاً من السمك وصبر عليها مدة طويلة، وجدبها، فرأها ثقيلة جداً.

ففرح بذلك، وقال في نفسه: «لا شك في أن شبكتي قد امتلأت سمكاً في هذه المرة». ثم جدبها - بكل قوته - حتى أخرجها بعد عناء شديد. فرأى فيها جرة مملوءة بالطين والحمى.

فحزن «عبد الله الصياد» أشد الحزن، وتالم لسوء بخته. وقال في نفسه: «إن الفرج يأتي بعد الشدة، ولا بد من الصبر. فإن الله - سبحانه - لن يتركني وأولادي بلا قوت، في هذا اليوم الذي لم أر له شبكتها طول عمري». ثم رمى الجرة، ونظف شبكته وغسلها، وذهب بها إلى مكان آخر وألقاها في البحر، فلم تصطاد شيئاً.

وما زال يتناقل من مكان إلى آخر، ويُلقي شبكته - من غير فائدة - حتى جاء وقت المساء، ولم يصطاد سمكة واحدة. فرَجع «عبد الله الصياد» أدراجها إلى البيت، وهو متالم محزون لما لقيه في ذلك اليوم المنحوس.

(٣) عبد الله الخبر

وما زال «عبد الله الصياد» سائراً في طريقه - وهو متالم محزون - يُفكِّر في أولاده العشرة الذين تركهم في البيت من الصباح - بلا طعام - حتىوصل إلى دكان خباز غني معروف، اسمه: «عبد الله الخبر»، فرأى الناس مزدحمين على دكانه لشراء الخبر. ورأى «عبد الله الخبر»، مشغولاً بالبيع.

وكان «عبد الله الصياد» جائعاً لم يذق طعاماً في نهاره. فلما رأى الخبر أمامه - وهو خارج من الفرن - اشتهرت نفسه، وذكر أولاده العشرة الجائعين، فتحسر لفقره وعجزه عن شراء ما يقتاتون به. ولكن صبر على قضاء الله، وعلم أن رزقه لا بد آتاه. وكان «عبد الله الخبر» صاحب هذا الفرن رجلاً محسناً كريماً محباً للخير. فلما رأى «عبد الله الصياد» واقفاً أمام دكانه، محزوناً متالماً، ينظر إلى الخبر بالهة وحسنة، عرف أنه فقير محتاج جائع، وأدرك أن نفسيه تشتهي الخبر، ويمتنع الخبر

وَالْحَيَاةِ مِن السُّؤَالِ. فَنَادَاهُ بِرْفُقٌ وَهُوَ يَبْتَسِمُ لَهُ: «مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الصَّيَادُ، تَعَالَ إِلَيَّ أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْغَرِيزُ، هَلْمَ يَا صَاحِبِي، فَخُذْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ».

فَسَكَتْ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ»، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْأَرْتِبَاكِ وَالْخَجَلِ. وَلَمْ يَجْرُوْ عَلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْخُبْزِ، لَأَنَّهُ كَانَ – عَلَى فَقْرِهِ – عَزِيزُ النَّفْسِ، وَلَمْ يَتَعَوَّدْ الْمَسَالَةَ فِي حَيَاتِهِ قَطًّا. فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللهِ الْخَبَازُ»، وَقَدْ أَذْرَكَ مَا يَجْوُلُ فِي نَفْسِهِ: «لَا تَخْجُلْ يَا صَاحِبِي، فَلَنْ أَطَالِبَكَ الآنَ بِتَمَنِّي مَا تَأْخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ».

فَنَشَجَّعَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ» قَلِيلًا، وَقَالَ لَهُ: «الْحَقُّ يَا سَيِّدِي أَنَّنِي خَجَلْ مِنْكَ. فَلَيْسَ مَعِي نُقُودٌ أَشْتَرِي بِهَا مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ فِي هَذَا الْيَوْمِ. فَإِذَا شِئْتَ أَعْطِيْتُكْ شَبَكَتِي، لِتَكُونَ رَهْنًا عِنْدَكِ بِمَا آخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ لِأَطْفَالِي الْعَشَرَةِ الصَّغَارِ، الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ مِنَ الصَّبَاحِ بِلَا طَاعَامٍ، حَتَّى يُسِرَّ لِي اللَّهُ، فَأَعْطِيْكَ ثَمَنَ مَا آخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ».

فَزَادَ عَطْفُ الْخَبَازِ وَتَائِرُهُ، فَقَالَ لَهُ مُتَرْفَقًا مُبْتَسِمًا: «وَمَنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى الْمَالِ، إِذَا أَخَذْتُ مِنْكَ شَبَكَتَكَ الَّتِي تَصْطَادُ بِهَا؟ كَلَّا، لَا تُقْلِقْ بِالَّكَ يَا صَاحِبِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَتَعَالَ فَخُذْ مَا تَشَاءُ مِنَ الْخُبْزِ، ثُمَّ احْسِرْ لِي بِتَمَنِّي سَمَّاً – مِمَّا تَصْطَادُ – مَتَى يُسِرَّ اللَّهُ لَكَ».

وَلَمَّا رَأَى الْخَبَازُ تَرَدَّدَ الصَّيَادُ وَأَرْتِبَاكُهُ وَحَيَاةُهُ أَعْطَاهُ مَا يَكْفِيهِ – هُوَ وَأَوْلَادُهُ الْعَشَرَةَ – مِنَ الْخُبْزِ، وَقَالَ لَهُ: «خُذْ هَذِهِ النُّقُودَ – يَا صَاحِبِي – فَاشْتَرِي بِهَا لِأَوْلَادِكِ الْعَشَرَةَ شَيْئًا مِنَ الْلَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْحَلْوَاءِ». فَشَكَرَهُ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ» عَلَى كَرْمِهِ وَمُرْوَعَتِهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ لَهُ. وَانْصَرَفَ وَهُوَ فَرَحَانُ، وَاسْتَرَى لِأَوْلَادِهِ أَطْبَابَ الْمَاكِلِ. وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَدْ تَبَدَّلَ يَاسُهُ أَمْلًا وَحُزْنُهُ سُرُورًا.

(٤) أَيَّامُ النَّحْسِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، ذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ» إِلَى الْبَحْرِ. وَظَلَّ يُلْقِي شَبَكَتَهُ فِيهِ، ثُمُّ يُخْرِجُهَا، فَلَا يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ. وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى حَيْمَ اللَّيْلِ، فَأَرْتَدَ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ دُكَانَ «عَبْدُ اللهِ الْخَبَازِ»، أَسْرَعَ فِي سَيِّرِهِ حَتَّى لَا يَرَاهُ. وَلِكِنَّ الْخَبَازَ رَآهُ، وَهُوَ يُسْرِعُ فِي خُطَاطِهِ، فَأَذْرَكَ أَنَّ خَجَلَهُ وَحَيَاةُهُ يَمْنَعَانِهِ مِنْ طَلَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَالِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. فَنَادَاهُ: «تَعَالَ يَا صَاحِبِي الصَّيَادِ، فَقَدْ نَسِيْتَ أَنْ تَأْخُذُ

الْخُبْزِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ». فَعَادَ إِلَيْهِ الصَّيَادُ وَهُوَ مُرْتَبِكُ، وَقَالَ لَهُ، وَالْخَبْلُ ظَاهِرٌ عَلَى
وَجْهِهِ: «كَلَّا، لَمْ أَنْسَ شَيْئًا يَا سَيِّدِي، وَلَكِنَّ الْخَجَلَ قَدْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ، لَأَنِّي لَمْ
أَصْطَدَ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلِهَذَا لَمْ أُعْطِكَ مَا اقْتَرَضْتُهُ مِنَ الْمَالِ، وَلَا ثَمَنَ مَا
أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ».



فَقَالَ لُهُ الْخَبَازُ، مُتَرْفِقًا مُبْتَسِمًا: «لَا تُقْلِقْ بِالْكَ يَا أَخِي، فَإِنِّي لَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا
— مِنَ الْمَالِ أَوِ السَّمَكِ — إِلَّا إِذَا تَدَلَّ عُسْرُكَ يُسْرًا، وَإِنِّي أَقْسُمُ عَلَيْكَ بِاللهِ أَلَا تَخْجَلَ مِنْ
طَلَبِ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنِّي. ثُمَّ أَعْطَاهُ — مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَالِ — مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ فِي اللَّيْلَةِ
السَّابِقَةِ، فَأَخَذَهُ الصَّيَادُ شَاكِرًا وَاشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَالحلْوَاءِ وَالفاكِهةِ.
وَظَلَّ الصَّيَادُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ — يَدْهُبُ إِلَى الْبَحْرِ وَيُلْقِي فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ النَّهَارِ، مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَصْطَادَ شَيْئًا. فَيَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى دُكَانِ الْخَبَازِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ
الْخُبْزِ وَالْمَالِ، وَيَشْتَرِي لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَمَا زَالَ كَذَلِكَ مُدَّةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

(٥) بَيْنَ الصَّيَادِ وَابْنِتِهِ

فَلَمَّا جاءَ الْيَوْمُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ، جَلَسَ الصَّيَادُ يُفَكِّرُ فِيمَا لَقِيَهُ مِنَ الْكَسَادِ. فَحَرَّنَ وَتَالَّمَ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالآلَمِ. فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ «أَمِينَةُ» وَهِيَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ: «مَمَّ تَبَكِّي يَا أَبَتِ؟» فَقَصَّ عَلَيْهَا قِصَّتَهُ كُلُّهَا. فَقَالَتْ لَهُ: «وَهُلْ أَطْهَرَ لَكَ الْخَبَارُ شَيْئًا مِنَ النُّفُورِ أَوِ الْإِعْرَاضِ؟ وَهُلْ آذَاكَ بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ يَا أَبَتِ؟» فَقَالَ لَهَا الصَّيَادُ: «كَلَّا يَا بِنْتَيِ الْعَزِيزَةِ، بَلْ هُوَ - عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكِ - يَهُشُّ لِي كُلُّمَا رَانِي، وَيَبْتَسِمُ مُتَرْفِقًا عَلَيَّ. وَلِكَنِّي حَجِلُّ جِدًا لِأَنِّي لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمَّا افْتَرَضْتُهُ مِنْهُ. وَقَدْ مَرَّ بِي أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَمْ أَصْطُدْ فِيهَا سَمَكًا وَاحِدَةً أَهْدِيَهَا إِلَى هَذَا الْحَبَازِ الْمُحْسِنِ الَّذِي غَمَرَنِي بِكَرْمِهِ. وَلَقَدْ هَمَمْتُ مِرَاً بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِي وَرَمِيَّهَا حَتَّى لَا أُنْعِبَ نَفْسِي بِهَا كُلًّا يَوْمٌ عَلَى عَيْرِ جَدْوَى». فَقَالَتْ لَهُ: «عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ، وَلَا بُدُّ مِنَ الصَّابِرِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ. وَيَجِبُ عَلَيْكَ - يَا أَبَتِ - أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى لُطْفِهِ بِكَ، فَقَدْ عَطَفَ عَلَيْكَ قَلْبُ هَذَا الْحَبَازِ الْمُحْسِنِ فِي أَيَّامِ الْضَّيقِ. وَلَا بُدُّ أَنْ يَأْتِي الْيُسُرُ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرَجُ بَعْدَ الضَّيقِ.

وَمَنْ يَدْرِي؟ فَلَعِلَّ هَذَا الْيَوْمَ يَكُونُ خَاتَمَةً أَيَّامِ النَّحْسِ، وَفَاتِحَةً أَيَّامِ الْيُسُرِ وَالْفَرَجِ..».

(٦) جُنَاحُ الْحِمَارِ

فَخَرَّاجٌ «عَبْدُ الله الصَّيَادُ» مِنْ بَيْتِهِ، وَهُوَ مُسْتَبِشٌ بِمَا قَالَتْهُ ابْنَتُهُ لَهُ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلًا، ثُمَّ جَذَبَهَا، فَوَجَدَهَا ثَقِيلَةً جِدًا. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَا شَكَّ أَنَّ أَيَّامَ النَّحْسِ قَدْ انْقَضَتْ، وَجَاءَ وَقْتُ الْفَرَجِ». ثُمَّ جَذَبَ الشَّبَكَةَ بِقُوَّةِ حَتَّى أَخْرَجَهَا - بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ - فَوَجَدَ جُنَاحَ حِمَارٍ مَيِّتٍ. فَانْقَلَبَ فَرْحُهُ وَسُرُورُهُ حُرْنًا وَغَمَّا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ الشَّقَاءُ وَالنَّحْسُ. وَمَا أَحْسَبُنِي أَصْطُدَ شَيْئًا بَعْدَ الْيَوْمِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخرُ أَيَّامِ الْبُؤْسِ وَأَوَّلُ أَيَّامِ الْفَرَجِ، فَإِذَا بِهِ أَشَدُ الْأَيَّامِ نَحْسًا. فَإِنِّي لَمْ أَصْطُدْ - فِي حَيَاتِي كُلُّهَا مِثْلَ هَذَا الْحِمَارِ الْمَيِّتِ، الَّذِي كَادَتْ تُهْلِكُنِي رَائِحَتُهُ الْكَرِيهَةُ».».



وَهُم بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ وَرَمِيمِهَا، وَالرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ يائِسًا مِنْ كُلِّ حَيْرٍ. وَلِكِنَّهُ ذَكَرَ نَصِيحةً ابْنِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الشَّتاءَ – إِذَا اشْتَدَ بَرْدُهُ الْقَارِسُ – جَاءَ بَعْدَهُ الرَّبِيعُ الْبَهِيجُ، وَأَنَّ الصَّيفَ – إِذَا اشْتَدَ حَرُّهُ الْلَّافِحُ – جَاءَ بَعْدَهُ الْخَرِيفُ الْجَمِيلُ، وَأَنَّ الْبُوْسَ – إِذَا اشْتَدَ ضِيقُهُ وَاسْتَحْكَمَ – أَعْقَبَهُ الْفَرَجُ. فَصَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَتِهِ جُنَاحَةً الْحِمَارِ الْمَيِّتِ وَرَمَاهَا. ثُمَّ نَظَفَ الشَّبَكَةَ وَدَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْرِ يَكْلَمُ رِزْقَهُ فِيهِ.

(٧) عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ

ثُمَّ أَلْقَى الصَّيَادُ شَبَكَتِهِ فِي الْبَحْرِ، بَعْدَ أَنْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُيْسِرَ لَهُ. وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ جَذَبَهَا فَرَآهَا ثِقِيلَةً جِدًّا. فَظَلَّ يَجْذِبُهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ، حَتَّى أَخْرَجَهَا. فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلًا عَجِيبَ الْخِلْقَةِ، غَرِيبَ الشَّكْلِ، جَسْمُهُ جِسْمُ إِنْسَانٍ، وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ السَّمَكِ. فَخَافَ الصَّيَادُ عَلَى نَفْسِهِ، وَظَنَّهُ عَفْرِيَّاتًا مِنَ الْجِنِّ، فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَغِ وَالرُّغْبِ،

وَأَرَادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ. وَلَكِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ نَادَاهُ مُتَلَطِّفًا، وَقَالَ لَهُ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ فَصَحِّحَ: «لَا تَحْفَ عَلَى نَفْسِكَ إِنِّي يَا صَاحِبِي، فَأَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ، وَلَسْتُ عَفْرِيَّاً كَمَا تَظُنُّ. وَأَنَا أَعْبُدُ اللهَ كَمَا تَعْبُدُهُ. وَإِنَّمَا أَنْتَ إِنْسَانٌ بَرِّيٌّ: تَعِيشُ فِي الْبَرِّ، وَأَنَا إِنْسَانٌ بَحْرِيٌّ: أَعِيشُ فِي الْبَحْرِ.»

فَاطْمَانَ الصَّيَادُ حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ، وَزَالَ عَنْهُ الْخَوْفُ.

(٨) الفَرَجُ بَعْدَ الضَّيْقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ» عَنْ اسْمِهِ، فَقَالَ لَهُ: «اسْمِي عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ. فَمَا اسْمُكَ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُ: «اسْمِي عَبْدُ اللهِ الصَّيَادُ.» فَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ تَعِيشُ فِي الْبَرِّ، فَأَنَا أَسْمِيكَ مِنَ الْيَوْمِ: «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ». وَسَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ — مِنْ هَذَا الْيَوْمِ وَنَحْلِفُ عَلَى الوفاء جَمِيعًا، وَنَلْتَقِي فِي صَبَاحٍ كُلِّ يَوْمٍ. فَتُخْضِرُ لِي أَنْتَ مَا تَحْتَارُهُ مِنْ فَوَاكِهِ الْبَرِّ، وَأُعْطِيَكَ مَا تُحِبُّهُ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ.»

فَفَرَحَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» بِذَلِكَ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْبَحْرِ. فَغَابَ عَنْهُ مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَمْ يَعُدْ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَقَدْ خَدَعْنِي هَذَا الرَّجُلُ. وَلَوْ أَحَدْتُهُ مَعِي وَعَرَضْتُهُ فِي السُّوقِ، لَعِجبَ النَّاسُ مِنْ هَيْتَهِ الْغَرِيبَةِ. فَجَمَعْتُ مِنْهُمْ مَالًا كَثِيرًا. وَبَيْنَا هُوَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَياعِ هَذِهِ الْفَرَصَةِ التَّاِدِرَةِ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ» وَيَدَاهُ مَمْلُوءَتَانِ بِالْيَاقُوتِ وَالْزُّمرُدِ وَالْمَرْجَانِ. فَفَرَحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَعَرَفَ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَ. ثُمَّ وَدَّعَهُ، بَعْدَ أَنْ وَدَّعَهُ بِإِحْضَارِ سَلَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ»: «إِذَا لَمْ تَحْدِنِي، فَنَادِنِي بِاسْمِي، لَأَخْرُجَ إِلَيْكَ تَوَّاً.»

وَانْصَرَفَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» وَهُوَ فَرْحَانٌ بِمَا نَالَ مِنْ ثَرَوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ عُمُرِهِ.



(٩) وَفَاءُ الدِّينِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِهِ الْخَبَازِ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى دُكَانِهِ، وَنَادَاهُ. وَقَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَازِ مَا مَعَهُ مِنَ الْلَّاْكِي بِالسَّوَيَّةِ. فَفَرِحَ الْخَبَازُ بِهَذِهِ التَّرْزَةِ الْعَظِيمَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ، وَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ، وَحَمَلَ إِلَى بَيْتِهِ كُلَّ مَا فِي دُكَانِهِ مِنَ الْخُبْزِ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ. وَذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي» إِلَى السُّوقِ فَاسْتَرَى مِنْ أَطَابِ الْمَآكِلِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْحَلْوَاءِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَعَادَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ.

عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي وَعَبْدُ اللهِ الْبَحْرِي



وَفَرِحْتُ «أَمِينَةً» وَإِخْوَتُهَا بِمَا نَالَهُ أَبُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ.

(١٠) بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي» صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى صَدِيقِهِ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِي» وَعَلَى رَأْسِهِ مِشَنَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْبَىِ الْفَاكِهَةِ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ نَادَى: «يَا عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيَّ».



فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخْذَ مِنْهُ مَا أَحْضَرَهُ مِنَ الْفَاكِهَةِ. وَمَلَأَ لَهُ السَّلَّةَ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ وَنَفَائِسِهِ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ، وَأَخْذَ مِنْهَا بَعْضَ الْلَّالِئِ لِيَبْيَعُهَا فِي السُّوقِ. فَلَمَّا رَأَى الْجَوْهَرِيُّ مَا مَعَهُ، طَنَّ أَنَّهُ سَارِقٌ، فَنَادَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ. وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ، بَعْدَ أَنْ أَهَانُوهُ وَضَرَبُوهُ. فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا: «مَنْ أَيْنَ أَحْضَرَ هَذِهِ النَّفَائِسَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّهَا. فَأَسَأَهُ الْمَلِكُ، وَوَبَحَ الْجَوْهَرِيُّ وَرِجَالَ الشُّرْطَةِ، وَعَاقِبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ. وَرَأَى مَا أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدِبِهِ وَوَقْرَةِ عَقْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ الْمَالَ – يَا وَلَدِي – يَحْتَاجُ إِلَى الْجَاهِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ أَذَى السُّفَهَاءِ وَالْأَشْرَارِ. وَسَازُوكَ ابْنَتِي، وَأَجْعَلُكَ وَزِيرِي، فَلَا يَجْرُو أَحَدٌ عَلَى إِيَادِكَ، بَعْدَ الْيَوْمِ».

(١١) وَفَاءُ الصَّدِيقَيْنِ

وَأَصْبَحُ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي» مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَزِيرَ الْمَلِكِ وَصَهْرَهُ، وَنَقَلَ أُولَادَهُ إِلَى الْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَدِيقَهُ «عَبْدَ اللهِ الْخَبَازَ»، الَّذِي آسَاهُ فِي أَيَّامِ مَحْنَتِهِ، فَذَهَبَ إِلَى مَحْبِبِهِ، فَرَأَهُ مُغْلَفًا. فَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ بَيْتِهِ حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَرِيضٌ فَنَادَاهُ. فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَازُ نِدَاءَهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ، وَهُوَ فَرَحَانٌ بِقُدوْمِهِ. فَسَأَلَهُ: «لِمَاذَا أَغْلَقْتُ دُكَّانَكَ؟» فَقَالَ لَهُ: «عَلِمْتُ مَا لَحِقَ بِكَ مِنِ الإِهَانَةِ؛ فَتَالَّمْتُ لِذَلِكَ أَشَدَّ الْآمِمِ، وَمَرِضْتُ

بِسَبَبِ حُزْنِي عَلَيْكَ». فَشَكَرُهُ عَلَى وَفَائِهِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ لَهُ، وَرَوَجَهُ بِاِبْنَتِهِ «أُمِينَةً»، وَقَدَّمَهُ إِلَى الْمَلِكِ، وَذَكَرَ لَهُ وَفَاءَهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ.
فَأُعْجِبَ الْمَلِكُ بِوَفَائِهِمَا إعْجَابًا شَدِيدًا، وَجَعَلَ «عَبْدَ اللهِ الْخَبَارَ» وَزِيرًا مَعَ صِهْرِهِ «عَبْدِ اللهِ الْبَرِّي».

(١٢) عَجَائِبُ الْبَحْرِ

وَكَانَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّي» يَذْهَبُ – كُلَّ صَبَاحٍ – إِلَى صَدِيقِهِ «الْبَحْرِي» بِمِشَنَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ، وَيَعُودُ بِهَا مَمْلُوءَةً بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ. وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَلَّساً يَتَحَدَّثَانِ، فَدَعَا الْبَحْرِيُّ صَدِيقَهُ لِبُرِّيهِ عَجَائِبَ الْبَحْرِ. فَخَلَعَ مَلَاسِهِ، وَدَهَنَ جَسْمَهُ بِمَرْهَمٍ عَجِيبٍ أَحْضَرَهُ لَهُ، حَتَّى لَا يُؤْذِيَهُ الْمَاءُ. ثُمَّ نَزَّلَ مَعَهُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ. وَرَأَى مَا يَحْوِيهِ الْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ، وَمِنْ سَمَكٍ مُخْتَلِفِ الْأَنْواعِ وَالْأَلْوَانِ، مِنْهُ مَا يُشْبِهُ – فِي خِلْقَتِهِ – الْجَامُوسَ وَالْبَقَرَ، وَمِنْهُ مَا يُشْبِهُ الْكِلَابَ، وَمِنْهُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلَعَ الْجَمَلَ أَوِ الْفَيلَ، وَلِكُنَّهُ يَنْفُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَيَهُرُبُ مِنْهُ إِذَا رَأَاهُ. وَكَانَ يَرَى – كُلَّ يَوْمٍ – عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ لَا تُوَصَّفُ.

(١٣) كَذْبَةُ «الْبَرِّي»

وَكَانَ يَأْكُلُ – كَمَا يَأْكُلُ صَدِيقُهُ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِي» – سَمَكًا، نَيْنًا، فَسَيَّمَتْ نَفْسُهُ ذَلِكَ الطَّعَامَ، وَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الْبَرِّ. فَذَهَبَ بِصَدِيقِهِ إِلَى بَيْتِهِ – وَهُوَ كَهْفٌ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ – وَأَرَاهُ أَوْلَادَهُ وَهُمْ يُشْهُونَهُ فِي الْخِلْقَةِ.

عَبْدُ الله الْبَرِّي وَعَبْدُ الله الْبَحْرِي



فَعَجِبَ مِنْ أَذْنَابِهِمْ، وَعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ رَأَوْهُ بِلَا ذَنَبٍ. وَسَأَلُوا أَبَاهُمْ: «مَنْ هَذَا الْأَبْتَرُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ سُكَّانَ الْبَرِّ لَيْسَ لَهُمْ أَذْنَابٌ». فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ. وَبَيْنَا هُمْ جَالِسُونَ، إِذْ

جاءُهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرَانِ «عَبْدِ اللهِ الْبَحْرِيِّ»، يَعْرِضُ عَلَى ضَيْفِهِ أَنْ يُزُورَهُ فِي بَيْتِهِ. فَقَالَ الْبَرِّيُّ لِلْبَحْرِيِّ: «لَقَدْ سَئَمْتُ نَفْسِي البقاءَ فِي الْبَحْرِ، وَلَا أُرِيدُ الذهابَ إِلَى جَارِكَ، فَقُلْ لِرَسُولِهِ: إِنِّي قَدْ عُذْتُ إِلَى الْبَرِّ أَمْسِ». فَصَاحَ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ» غَاضِبًا: «أَنْتَ تَكْذِبُ، وَتَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكْذِبَ؟ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَكْذِبُ لَا وَفَاءَ لَهُ، وَلَنْ أَصْاحِبَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ».

وَصَاحَ أَوْلَادُهُ: «هَذَا عَجِيبٌ! هَذَا رَجُلٌ يَكْذِبُ، وَمَا سَمِعْنَا طُولَ عُمْرِنَا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ».

فَخَجَلَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» أَشَدَّ الْخَجَلِ، وَعَادَ بِهِ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ» إِلَى الْبَرِّ، وَلَمْ يُخْرُجْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

خاتِمةُ الْقِصَّةِ

عَادَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ سَبَبِ غَيْبَتِهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ، فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ.
لَمْ عَاشَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» مَعَ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ مَسْرُورِينَ، وَلِكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كِذْبَتَهُ.
وَكَانَ يَخْجُلُ كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَشَدَّ الْخَجَلِ.